الى جانب هذا الفكر ، الذي يعاني ازمته الطاحنة ، تعيش ثقافة شعبية فلاحية ، ثقافة الكفاف ، ثقافة تقليدية لها وظيفة اجتماعية محددة ، هي المحافظة على الوجود · لكن هذه الثقافة تعاني هي الاخرى مأزقها · فلقد حولها « التقدم » الرأسمالي البرجوازي ، الى ثقافة فولكلورية · تحول الشعب الى فولكلور وسياحة · خربت من الخارج والداخل · ولم تعد ، في الزمن الراهن ، قادرة على الفعل · فتم تنحيتها الى الهامش · وفي الهامش الواسع ، الذي تعيشه جماهير غفيرة ، كدس التأخر ، واكد التسلط · فأصبحت الناس ، خارج الفعل وخارج الواقع ·

ان الاساس الفعلي لهذه الازمة الفكرية ، هو انهيار علاقة الفكر بالانتاج · فلقد همش الانتاج ، ليصبح انتاجا استهلاكيا ، او انتاجا بهدف التصدير · وفقدت الدورة الاقتصادية استقلاليتها وحيويتها الداخلية · وصار الفكر هو مبرر هذا التحول نحو دخول العصر الحديث ، او هو الملفق الاساسي بين هذا الدخول وبين السلف الصالح · فقد الفكر مبرر وجوده ، اي فقد وظيفته الاساسية ، كانتاج للمعرفة القائمة على الممارسة الاجتماعية · ضاع الفكر في الشعارات الجاهزة ، وانهارت الثقافة وتحولت الى صدى ·

وحين تصل الازمة الى ذروتها ، فانها تكشف عن حقيقتها · هنا ، وفي ذروة الازمة ، لم يعد هناك حاجة الى الثقافة او الفكر · لم يعد هناك حاجة الى ادوات الحجب التقليدية · لم يعد هناك حاجة الى المثقفين · ولعل انهيار الثقافة في مصر هو مؤشر لانهيارات اكبر · حيث يصبح التوحش المطلق ، والديكتاتورية المكشوفة ، والسجون هي الاداة الرئيسية لتعامل النظام مع جماهيره · لقد ولد نمط ثقافي جديد · وصل الفكر الى قمة ازمته فانكشفت الازمة الحقيقية · انها ليست ازمة مثقفين ولا ازمة ثقافة · انها ازمة فكرية ـ اجتماعية ـ سياسية كاملة · ازمة الوجود العربي · وهذه الازمة لم تكن ممكنة ، لو لم يكن هذا الوجود ممكنا في الظرف التاريخي الراهن · لذلك تعلن الازمة عن نفسها بحدة ، وتكشف احتمالاتها بأسرها · ولذلك ايضا لم يعد النظام يخفي اهدافه · فهو معني اساسا بسحق الجماهير عبر اخراجها من السياسة · انه لا يريد تأييدا كان يحتاجه في فترة صعوده من اجل تأسيس الدولة · يريد الحياد · حياد الناس المطلق والشامل ، الحياد السلبي ، حيث يصبح هم الفرد ان لا يموت وان لا يجوع وان لا ينام في العراء · لم يعد هناك اعداء ، ولا حاجة لاختراعهم · العدو الوحيد هو الرأس الذي يفكر ، او اللسان الذي يتحرك · الهدف هو تحرير السلطة من كل واجب وكل رقابة · تتحالف مع من تشاء وتعادي من تشاء · الهدف هو تحويل المدن العربية الى مدن صفيح ، يعيش فيها الانسان الى جانب امراضه وكأمراضه ·